



من مراثي الشباب*

علي بن محمد بن خلف الهمداني

قال علي بن محمد بن خلف الهمداني:

وأما ما سألت عنه من حديثي في المراح والنشاط، فعهدي بهما عهدي بالشباب والشطاط^(١).
فأما الآن فقد علاني المشيب، وحناني التحنيب^(٢)، ولم يبق عندي للسرور نصيب، ولا حظوة في
الحور، ولا حظ لي في الحبور، ولا طَرف يرنو إلي، ولا طَرف^(٣) يُجلى علي، ولا زير^(٤) يطرقني زائراً،
ولا غرير^(٥) يرمقني غائراً، ولا ترتاح إلي الحسناء، ولا ترتاع مني العذراء، ولا يتجملن لي تصنعاً،
ولا يتغالين علي تمنعاً، ولا يكتحلن لي بمرود، ولا يحتجن عني ببرقع.
وإذا رأيت الشخص الواحد حسبته شخصين وظننته اثنين، ولم أكد أدركه من البعد، حتى أقاتل
الطرف عنه باليد.

وإن قمت تأودت^(٦)، وإن قعدت تأوّهت، وإن نمت تململت، وإن شربت تبرضت^(٧)، وإن شبيعت
تأرضت^(٨)، وإن جعت تضورت^(٩).

وإن رأيت فتى غص الشبيبة، نضر النقيبة، رائع الريعان، رائق الريحان، قد تذبذخ بشبابه،
وتخايل في أثوابه، فأقبل يمشي العَرَضَنَة^(١٠) كبرا، ويسحب الحبرة^(١١) عجباً، تذكرت أيامي التي
سلفت وأحلاسي^(١٢)، وقطعت في إثرهم نفسي وأنفاسي، وبت بزفرات تتصعد حري، وعبرات
تتحد تترى^(١٣)، أسفا على شفيق كان عند الحسان وجيهاً، وحزنا على حبيب فارقت بفراقه اللذات
جميعاً، ولهفا على صاحب صحبت الهمّ مذ ودعته، ولبست الضيم^(١٤) إذ خلعته، ولو كان مما يفدى
لافتديته، أو يهدي لاستهديته، ولكنه شيء إذا ذهب به ذهاب الأيام، وغلبت عليه غلبات الأعوام،
فلا دليل على استرداده، ولا سبيل إلى استجداده^(١٥)، فسُقياً له ثم سقياً، حتى نمل من السقياً! ■

الهوامش:

- | | | |
|--|---|--|
| * من كتاب: المنثور البهائي، لعلي بن محمد بن خلف الهمداني، المتوفى سنة ٤١٤هـ، تحقيق د. عبدالرحمن ابن عثمان بن عبدالعزيز الهليل، ط ٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، الرياض، ص ٤٠٩. | الراء - شيء طيب غريب. | (١٠) العرضنة: الاعتراض في السير من النشاط. |
| (١) الشطاط: اعتدال القامة. | (٤) الزير: الذي يحب محادثة النساء ومجالستهن لغير شر. | (١١) الحبرة: نوع من برود اليمن. |
| (٢) التحنيب: شدة الانحناء. | (٥) الفر والغرير هي: بينة الفرارة، وهي الغفلة والتصابي. | (١٢) الأحلاس: جمع حلس: والمراد به هنا الشيء الملازم. |
| (٣) طرف: بكسر الطاء وسكون | (٦) التأود: التثني. | (١٣) تترى: متتابعة. |
| | (٧) تبرضت: أي شربت قليلاً قليلاً. | (١٤) الضيم: الظلم والانتقاص. |
| | (٨) التأرض: التناقل على الأرض. | (١٥) استجداده: طلب إعادته جديداً. |
| | (٩) التضور: التلوي والصباح. | |